وإذا كان الأمر كذلك فقد وجب البحث عن علّة مجئ هذا الباب في الصحيح كله بالضم نحو أكرمه وأضُربه .

وعلّـَته عندى أن هذا موضع معناه الاعتلاء والغلبة فدخله بذلك معنى الطبيعة والنـَحِيزة التي تغلِب ولا تُغلب وتلازم ولا تفارِق . وتلك الأفعال بابها : فـَعُل يفعُل نحو فقُه يفقُه إذا أجاد الفقه وعلُم يعلُم إذا أجاد العلم . وروينا عن أحمد ابن يحيى عن الكوفيين : ضَرُبتِ اليدُ يدُه على وجه المبالغة .

وكذلك نعتقد نحن أيضا في الفعل المبنىّ منه فِعْلُ التعجب أنه قد نُقِل عن فـَعَل وفـَعِل إلى فـَعُلَ حتى صارت له صفةُ التمكّن والتقدّم ثم بُنى منه الفعل فقيل : ما أفعله نحو ما أشعره إنما هو من شَعُر وقد حكاها أيضا أبو زيد . وكذلك ما أقتله وأكفره : هو عندنا من قَتُل وكَفُر تقديرا وإن لم يظهر في اللفظ استعمالا .

فلمّـَا كان قولهم : كارمنى فكرمته أكرمه وبابه صائرا إلى معنى فـَعُلت أفعُل أتاه الضمّ من هناك . فاعرِفه .

فإن قلت : فهّلا لمّـَا دخله هذا المعنى تمّموا فيه الشبه فقالوا : ضرُبته أضرُبه وفـَخُرْتُه أفْخُرُه (ونحو ذلك) .

قيل : مَنع من ذلك أنّ فـَعُلْت لا يتعدّى إلى المفعول به أبدا ويفعل قد يكون في المتعدّى كما يكون في غيره ألا ترى إلى قولهم : سلبه يسلُبه وجلبه يجلبه